٩٠ X ٦٠

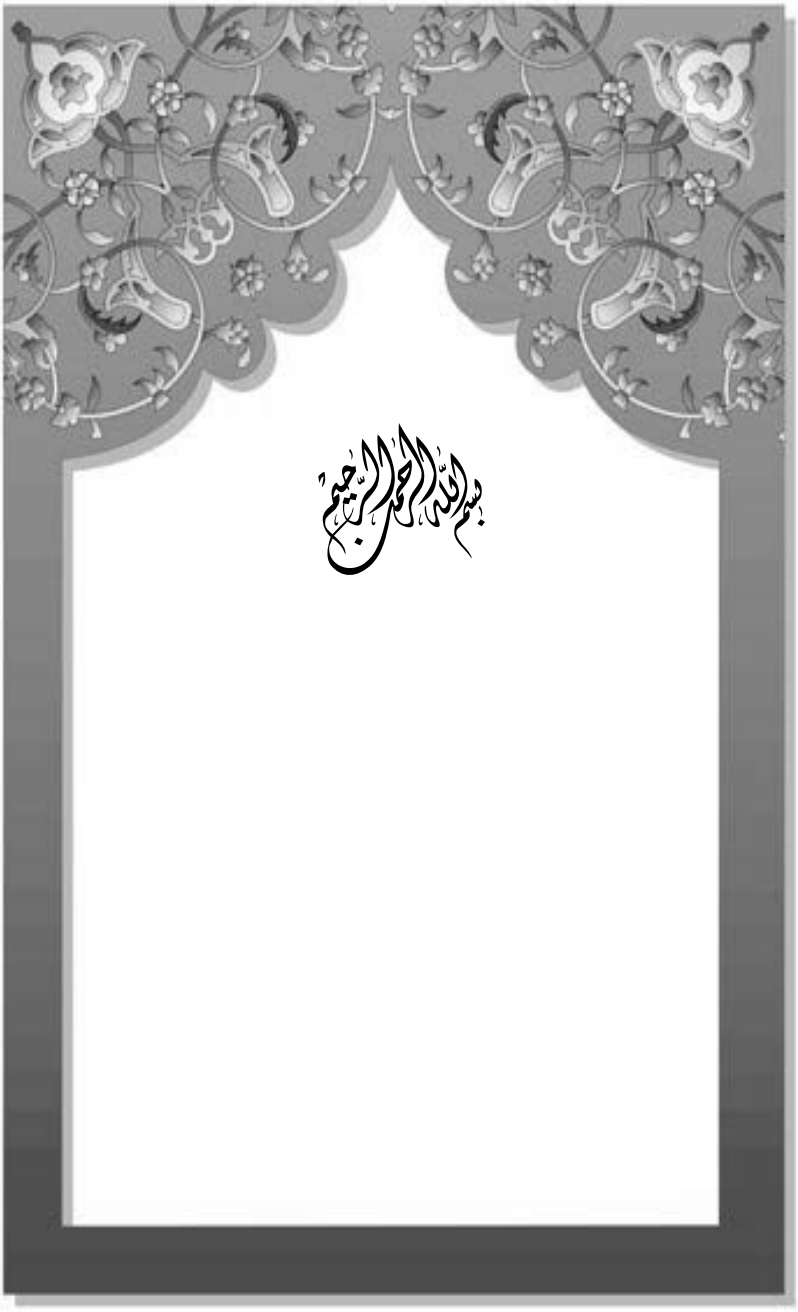
بسم الله الرحمن الرحيم

مؤلفات سماحة العلامة الشيخ
محمد الحسن بن الددو الشنقيطي

٢

محبة الرسول ﷺ

لسماحة العلامة

محمد الحسن الددو الشنقيطي

رئيس جامعة مكة المكرمة المفتوحة

www.alomarey.net

اعتنى به

د. علي بن حمزة العُمري

دار الأمة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

mhbtrsol محبة الرسول ﷺ

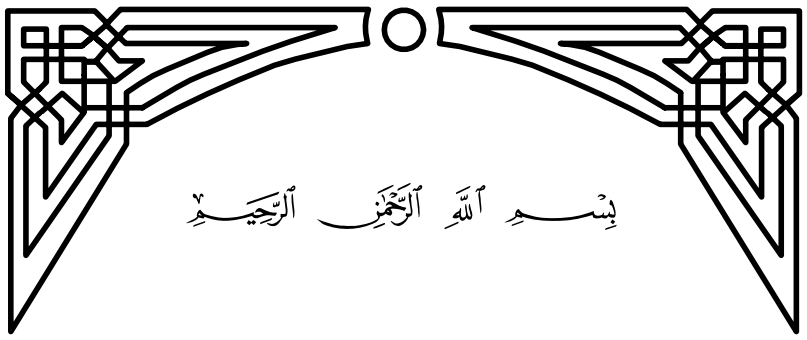

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

والصلاة والسلام على سيدنا ورسولنا وإمامنا وقدوتنا وحبيبنا محمد ﷺ القائل: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

يا رسول الله ﷺ والله إنك لأحب إلينا من أنفسنا ووالدينا وأهلينا وأموالنا ودنيانا والناس أجمعين...

ورضي الله عن عمك العباس حينما استأذنك يا رسول الله أن يمتدحك فقال: أتأذن لي بأن أمتدحك، فقلت: «**قل**»، فقال:

من قبلها طبتَ في البلادِ وفي ... مستودع حيث يُخصفُ الورقُ
ثم هبطتَ البلادَ لا بشرٌ ... أنت ولا مضغةٌ ولا عَلَقُ
بل نطفةٌ تركبُ السفينَ وقد ... أُلجم نسراً وأهله الغَرقُ

إن محبة النبي ﷺ وتوقيره أصل في معتقد المسلم، والذود عنه ما يُساء به أعظم واجبات الأمة في حقه، في زمن يُتطاول فيه على سيد الأنبياء، وأعظم النبلاء، بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام.

ولا نقول لهؤلاء الشرذمة في البلاد الكافرة من المستهزئين برسول الله ﷺ في بلاد الدنمارك وغيرها إلا ما قاله عمه أبو طالب:

كذبتم وبيتُ الله نُبزى محمداً ولمّا نقاتل دونه ونناضلِ
ونسْلِمه حتى نُصرّع حوله ونذْهلَ عن أبنائنا والحلائلِ

إن هذا التفاعل الجماهيري الإيجابي الفعّال في الأمة.. هو عنوان لرغبتها في المناصرة الحقة لقضاياها، ومنطلق لترشيد وتوحيد وتفعيل جهودها نحو النهوض بأقل الواجب في حق من سارع الله في هواه، كما قالت أم المؤمنين عائشة في صحيح مسلم عند نزول قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾، قالت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.

إن من واجبنا في هذه المناصرة.. إحياء رسالته العظيمة الشريفة الخالدة الداعية إلى الإيمان بالله وحده، وعمارة الأرض بالخير، وإرشاد الناس للفضيلة، بالحكمة والموعظة الحسنة والتسامح والرفق، عسى الله أن يخرج من أصلاب الشاردين التائهين من يعبد الله ويعظم رسوله ﷺ.

وقفة مع الكتاب:

لقد أكرمني الله سبحانه وتعالى إلى سماع هذا الموضوع من سماحة شيخنا العلامة محمد الحسن الددو الشنقيطي ـ حفظه الله ـ عدة مرّات، وفي أكثر من مجلس، وكان آخرها في منزلي إبّان الإفراج عنه بعد ظلم مرير، وصبر طويل.

وتاقت نفسي مباشرة لإفادة محبي الشيخ خصوصاً، وطلبة العلم والمسلمين عموماً، بما فتح الله به على الشيخ في هذه المادة.

ولشيخنا ـ حفظه الله ـ في هذه الموضوعات الروحانية خصيصتان:

أولاهما: تجلّياته، فإنك لا تملك نفسك ولا دموعك أثناء سماعك لكلماته الحارة، ونفثاته الصادقة، وذلك لروحه المتألقة ودمعاته المنحدرة، وطريقة أدائه المؤثرة.

ثانيهما: محفوظاته، حيث يستشهد بأدلة وآثار وشواهد وأشعار، خزنها الله في صدره يصعب على الجمع من الباحثين التقاط شواردها ولطائفها بسهولة.

إن هاتين الخصيصتين اللتين أكرم الله بهما سماحته، وفي موضوع جليل عظيم كهذا، جعلتاني حريصاً على تفريغ الدرس وإخراجه للقراء الكرام.

وقد تحدث شيخنا ـ حفظه الله ـ في هذا الدرس

عن محبة النبي ﷺ، وأنها من الإيمان، وذكر الآثار والشواهد والقصص في محبة الصحابة رضوان الله عليهم، وشدة تعلقهم به عليه الصلاة والسلام. ثم ذكر عدداً من شمائله الكريمة التي ينبغي التأسي بها والحرص عليها.

وقد بذلت جهدي ـ يعلم الله ـ حيث راجعت هذه الرسالة عشر مرّات وتتبعت كلماتها وشواهدها، وعرضتها بعدئذ على سماحة شيخنا محمد الحسن ـ حفظه الله ـ للمراجعة، وأبدى ملحوظاته القيّمة عليها، بعد أن كان للشيخ الدكتور محمد سيد عبدالقادر ـ حفظه الله ـ نظره وتصويبه فيها، ثم لفريق البحث العلمي بمعهد مكة المكرمة ـ بجدة ـ بصمته البارزة.

وبهذا تخرج هذه الرسالة الثانية من مؤلفات سماحة شيخنا ـ حفظه الله ـ محققة محررة، مخرّجة الآيات والأحاديث متقنة، مع حسن طباعة وجمال إخراج.

وهذا ما سأسعى إليه ـ إن شاء الله ـ في العناية بالمجموعة الكاملة لمؤلفات ودروس شيخنا محمد الحسن ـ حفظه الله ـ لتكون على ذات النسق من التحرير والتحقيق، والإخراج والإتقان. ويقيني أن الكتاب سينال من محبي الشيخ خاصة والقراء عامة إقبالاً لائقاً، وقبولاً فائقاً، ويكون عوناً كبيراً على إيقاظ كل مقصّر في حق نبيه ﷺ من رقدته، فرداً كان أو جماعة.

وسيتلو هذا المؤلّف النبيل المؤلفات الأخرى لسماحة شيخنا ـ أمد الله في عمره ـ راجين من القراء إبداء آرائهم ومقترحاتهم وملحوظاتهم النافعة.

وختاماً: أتضرع إلى الله مولانا العلي القدير أن يضفي على الكتاب مِسحةَ القبول، وأن يجعله نافعاً مباركاً، وأن يجعل سطوره خالصة لوجهه الكريم، وأن يشملنا وشيخنا وكل قارئ كريم بمنّه وكرمه، ورحمته ولطفه، وأن يوفق كل قارئ أن لا ينسانا من صالح دعواته، إنه هو الملهم للخير والسداد.

وصلِّ اللَّهم وسلم وبارك على سيدنا وشفيعنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المعتني بالكتاب
د. علي بن حمزة العُمري

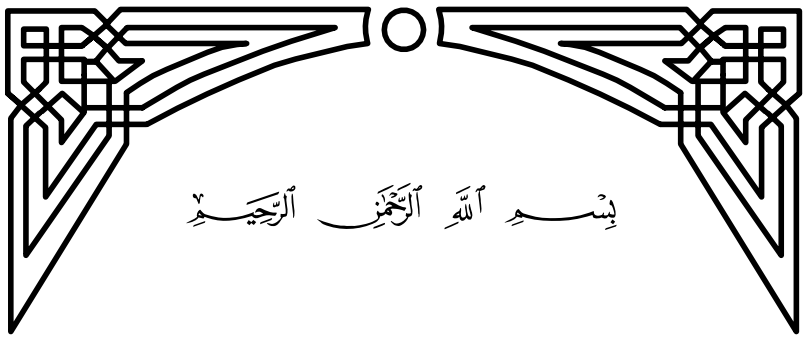

الحمد لله رب العالمين. اللَّهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.. **أما بعد:**

فإن الله سبحانه وتعالى شرط على المؤمنين في الإيمان محبة رسوله ﷺ حباً شديداً، وجعل ذلك أصلاً من أصول عقائد المسلمين، فقد صحّ عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»(١).

وفي حديث أنس زيادة: «**والناس أجمعين**»(٢)، وكذلك في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال عمر: فإنه الآن، والله لأنت

(١) أخرجه البخاري (١٤)، (١٥)، وهو في مسلم من حديث أنس فقط.
(٢) أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤).

أحب إليَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»(١).

وشرط رسول الله ﷺ كذلك في الإيمان به محبة أنصاره فقد صحّ عنه ﷺ أنه قال: «**آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار**»(٢).

وكذلك شَرَطَ محبة بعض أصحابه، فقد صحّ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المسند وصحيح مسلم والمستدرك وغيرها أنه قال: «والذي فَلَقَ الحبة وبَرَأَ النَّسَمَةَ لقد عهد إليّ النبي الأمي أن لا يحبني إلا مؤمن وألاّ يبغضني إلا منافق»(٣).

ومحبة النبي ﷺ لَما كانت شرطاً من شروط الإيمان وَجَبَ على كل إنسان أن يتعاهدها في نفسه، وأن يعرف ضوابطها وحدودها، فإن هذا النبي الأمي ﷺ شرفه الله سبحانه وتعالى بأنواع التشريف، فقد اختاره من خلائقه فهو أفضل ما خلق الله من الخلائق، وقد اختاره من البشر كذلك كما صحّ عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله اصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم، وجعلني من بني هاشم في المحل الأسنى فأنا خيار من خيار من خيار**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).
(٢) أخرجه البخاري (١٧)، مسلم (٧٤) عن أنس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٧٨).
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

وهذا الحديث يقتضي اصطفاءه واختياره من البشر وتنقيته من الكدر؛ فلذلك يشمل هذا الاختيار التنقية الجسدية، والتنقية القلبية، والتنقية الخُلُقية، فقد نَقَّاه الله سبحانه وتعالى من كل ما يكرهه ومن كل ما لا يرتضيه.

واختيار الله سبحانه وتعالى لأي عبد من عباده مقتضٍ من كل من أحب الله سبحانه وتعالى أن يحب من اختاره الله سبحانه وتعالى وشرّفه.

وكذلك فإن من دواعي المحبة الإنعام والإحسان، ولا شك أن النبي ﷺ أكثر الناس إحساناً إلى الناس، فهو الذي يدخل في شفاعته يوم القيامة آدم ومن دونه إلى نهاية البشرية. فقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال:

«أنا سَيِّدُ الناس يوم الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذلك يَجْمَعُ الله الناس الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ الناس من الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مالا يُطِيقُونَ ولا يَحْتَمِلُونَ فيقول الناس ألا تَرَوْنَ ما قد بَلَغَكُمْ ألا تَنْظُرُونَ من يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ فيقول بَعْضُ الناس لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السَّلَام فَيَقُولُونَ له: أنت أبو الْبَشَرِ خَلَقَكَ الله بيده وَنَفَخَ فِيكَ من رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لك اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فيه ألا تَرَى إلى ما قد بَلَغَنَا فيقول آدَمُ إِنَّ رَبِّي قد غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثله وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مثله وَإِنَّهُ نَهَانِي عن الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إلى غَيْرِي اذْهَبُوا إلى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ: يا نُوحُ إِنَّكَ أنت أَوَّلُ

الرُّسُلِ إلى أَهْلِ الأرض وقد سَمَّاكَ الله عَبْداً شَكُوراً اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فيه فيقول إِنَّ رَبِّي عز وجل قد غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثله وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مثله وَإِنَّهُ قد كانت لي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا على قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إلى غَيْرِي اذْهَبُوا إلى إبراهيم فَيَأْتُونَ إبراهيم فَيَقُولُونَ يا إِبْرَاهِيمُ أنت نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ من أَهْلِ الأرض اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فيه فيقول: لهم إِنَّ رَبِّي قد غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثله وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مثله وَإِنِّي قد كنت كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ فَذَكَرَهُنَّ أبو حَيَّانَ في الحديث نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إلى غَيْرِي اذْهَبُوا إلى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يا مُوسَى أنت رسول اللَّهِ فَضَّلَكَ الله بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ على الناس اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ ألا تَرَى ما نَحْنُ فيه فيقول: إِنَّ رَبِّي قد غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثله وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مثله وَإِنِّي قد قَتَلْتُ نَفْساً لم أو مر بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إلى غَيْرِي اذْهَبُوا إلى عِيسَى فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يا عِيسَى أنت رسول اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه وَكَلَّمْتَ الناس في الْمَهْدِ صَبِيّاً اشْفَعْ لنا ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فيه فيقول عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قد غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثله قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مثله ولم يذكر ذَنْباً نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إلى غَيْرِي اذْهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونَ محمد ﷺ فَيَقُولُونَ: يا محمد أنت رسول اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وقد غَفَرَ الله لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ ألا تَرَى إلى ما

نَحْنُ فيه فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي عز وجل ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ من مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئا لم يَفْتَحْهُ على أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ: يا محمد، ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يا رَبِّ أُمَّتِي يا رَبِّ فَيُقَالُ: يا محمد، أَدْخِلْ من أُمَّتِكَ من لاَ حِسَابَ عليهم من الْبَابِ الْأَيْمَنِ من أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ الناس فِيمَا سِوَى ذلك من الْأَبْوَابِ ثُمَّ قال: وَالَّذِي نَفْسِي بيده إِنَّ ما بين الْمِصْرَاعَيْنِ من مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كما بين مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أو كما بين مَكَّةَ وَبُصْرَى»[(١)]. وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله إياه في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾[(٢)]. فقد فسر النبي ﷺ المقام المحمود بالشفاعة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه[(٣)].

وقد صحّ عنه ﷺ أنه قال: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ فإنه من صلىَّ عليَّ صلاة صلىَّ الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) الإسراء: ٧٨ ـ ٧٩.
(٣) أخرجه الترمذي (٣١٣٧) وقال حديث حسن.
(٤) أخرجه مسلم (٣٨٤) عن عبدالله عمرو بن العاص رضي الله عنه.

فمن كان هكذا يدخل في شفاعته الأولون والآخرون جميعاً فهو أهل لأن يُجب.

وهذه الأمة بالخصوص ليس لها خيرٌ إلا من طريق هذا الرسول ﷺ، فهو دليلها إلى الله سبحانه وتعالى وهو معلمها الخير كله، وقد صحّ عنه ﷺ أنه قال: «**ما يكون عندي من خير فلن أدّخره عنكم**»(١).

فلم يبق من خير إلا دلنا عليه ولا من شرٍ إلا حذرنا منه، فهو أهلٌ لأن يُحب من أجل إحسانه إلينا.

كذلك الشفاعات الأخرى التي دون هذه، والشفاعات ثمان، أعظمها:

❖ **الشفاعة الكبرى:** التي ذكرناها وهي: شفاعته في الخلائق جميعاً في المحشر، وبعدها العرض على الله سبحانه وتعالى.

❖ ثم **الشفاعة الصغرى:**

وهي أصغر الشفاعات وهي الشفاعة في كافر مات على الكفر؛ ليخفف الله عنه عذابه، فيوضع في ضحضاح من نار(٢)، أو أخمصاه على جمرتين من نار يغلي منهما

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وتلك العبارة قالها ﷺ حين سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده. قال: فذكره.
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٩-٢١٠).

دماغه[١]، أو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه[٢]، وهذا أخف أهل النار عذاباً يوم القيامة، وهذه الشفاعة كذلك مختصة بسيدنا رسول الله ﷺ وحده، فلا يحل لأحد أن يشفع في كافر مات لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر إلا هذا الرجل وحده، يشفع فيه النبي ﷺ، وهو أبو طالب عمّ النبي ﷺ[٣].

❖ الشفاعة الثالثة:

وهي الشفاعة في إخراج أهل الإيمان من النار بعد أن نالوا حظهم منها، فإن الفساق يدخلون النار بفجورهم، ويخرجون منها بإيمانهم كما صحّ في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**يخرج من النار أقوام قد اسودّوا وامتحشوا فَيُلقون في نهر الحياء** أو: **الحياة** ـ شك مالك ـ **فتنبت أجسامهم كما تنبت الحبة في حميل السيل**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٢).

(٣) وفيه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**». أخرجه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو جزء من حديث طويل. وهو في الصحيحين من طريق مالك من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٢٢)، ومسلم (١٨٤).
قوله: (امتحشوا) أي: احترقوا. والمحش: احتراق الجلد وظهور العظم.
(وحميل السيل): هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، والمعنى: أن الحبَّة إذا استقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.
انظر: النهاية لابن الأثير (٥١/١)، (٦٣١/٤).

وهذه الشفاعة ليست مختصة بالنبي ﷺ بل هي للأنبياء والملائكة والصالحين، وهي إكرام من الله تعالى لهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى كتب على هؤلاء حظّهم من عذابه وعقوبته، وأراد تكريم أولئك بأن يشفعوا فيهم ولا تمكن الشفاعة حينئذ إلا لمن أذن له، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(١)، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾(٤).

❖ الشفاعة الرابعة:

وهي الشفاعة في بعض العصاة حتى لا يدخلوا النار وهم يستحقونها بسيئاتهم، فبعض العصاة يستحقون دخول النار بسيئاتهم ولكن الله يشفع فيهم الشافعين فتنفعهم شفاعة الشافعين فتحول بينهم وبين النار بعد أن شاهدوا مقاعدهم منها نسأل الله السلامة والعافية.

وهذه الشفاعة كذلك لا تختص بالنبي ﷺ بل هي للأنبياء والملائكة والصالحين يشفّعهم الله في أقوامهم، بل قد

---

(١) البقرة: ٢٥٥.
(٢) الأنبياء: ٢٨.
(٣) النجم: ٢٦.
(٤) سبأ: ٢٣.

بين النبي ﷺ أن من هذه الأمة أقواماً يشفعون في مثل ربيعة ومُضر[١] أي: في مثل هاتين القبيلتين العظيمتين: ربيعة ومُضر.

وفي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**»[٢].

❖ الشفاعة الخامسة:

وهي الشفاعة في المجازاة، وذلك أن أقواماً يأتون يوم القيامة فَتُسْتَحَقُّ حسناتهم بسبب إجرامهم وإسرافهم على أنفسهم، وظلمهم للعباد وذلك أن الذنوب ثلاثة أقسام:

- ذنب لا يُغفر وهو الشرك بالله.
- وذنب في المشيئة إن شاء الله عذّب به وإن شاء الله عفا عنه وهو حقوق الله المتمحّضة.
- وذنب لا يُترك وهو حقوق العباد حتى لو غفر الله سبحانه وتعالى جانب المعصية في الذنب، فإنه يبقى حق العبد لا بد من استيفائه عند الحَكَم العَدْل الذي لا يُظلم عنده أحد. وهذه الحقوق هي التي تَمْحَلُ بالعباد فيأتي الرجل ومعه من الحسنات أمثال الجبال ولكنه قد استغرقت ذمته باعتدائه على الناس؛ ولذلك صحّ عن النبي ﷺ أنه قال

---

(١) انظر: سنن ابن ماجه (٤٣١٦، ٤٣٢٣).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣).

لأصحابه: «**أتدرون من المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: بل المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، ويأتي وقد ضرب هذا أو شتم هذا أو أكل مال هذا** ـ وفي رواية: **وقتل هذا** ـ **فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا نفذت حسناته ألقي عليه من سيئاتهم ثم ألقي في النار**»(١).

هؤلاء المفلسون تنفعهم بعض شفاعة الشافعين يوم القيامة، فيشفعون في المجازاة عنهم فيجازي الله خصومهم، فيدعو الله العبد فيقول له: يا عبدي على فلان كذا وكذا، هل يرضيك عنه أن أتجاوز عن سيئاتك؟ هل يرضيك عنه أن أدخِلك الجنة فيرضى الله سبحانه وتعالى أقواماً عن هذه الحقوق فتقع المسامحة، وذلك الوقت لا بد فيه من أداء الحقوق كلها «**حتى يُقتاد للشاة الجمّاء من الشاة القرناء**»(٢).

فالغنم غير المكلفة يؤتى بها في مثل ذلك الموقف حتى يقتاد للشاة الجمّاء أي: التي لا قرن لها من الشاة القرناء التي نطحتها في الدنيا، فضلاً عن البشر المكلفين.

❖ الشفاعة السادسة:

وهي الشفاعة في دخول الجنة، فإن الناس إذا وضعت الموازين بالقسط ليوم القيامة، توزن أعمالهم بمقاييس الذر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٢٣)، وصحح الأرناؤوط إسناده على شرط مسلم (٨٢٨٨).

وبعد ذلك يعطى أهل الإيمان كتبهم بأيمانهم تلقاء وجوههم ويبيض الله وجوههم ويعطى أهل السيئات كتبهم بشمائلهم تلقاء ظهورهم ويُسّود الله وجوههم ويُضرب بين الطائفتين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ويعرف أهل السيئات بعض أهل الإيمان، كانوا يجاورونهم في الدنيا ويخالطونهم ويعرفونهم بأسمائهم وأنسابهم فينادونهم: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(١).

ولاحظوا الأسباب الخمسة التي قالوها: قالوا: بلى قد كنتم معنا في الدنيا ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، وفتنة النفس إنما تكون باتباع الهوى واتباع الشهوات، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: بأهل الإيمان فكنتم تكيدون لهم وتتمنون لهم المصائب؛ فلذلك قال: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في موعود الله الذي لا بد أن يتحقق وهذه أخرت؛ لأنها قاصمة الظهر، ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾، فكثير من أصحاب الذنوب ينسون ذنوبهم ويظنون أنها قد غفرت فهم يودون أن يُعطوا صُحفاً منشَّرة فيها الحسنات، وأن يمحى عنهم السيئات ولكن الواقع أن هذا مثل تمني اليهود الذين قالوا إن لديهم عهداً من الله ألا يعذبهم إلا أياماً معدودات، والله تعالى كذّب هذا العهد في سورة البقرة وبيّن

(١) الحديد: ١٤.

أنه من أباطيلهم التي لا طائل من ورائها: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1]؛ فلذلك قال في هؤلاء: ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[2]، وهو: الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾[3]، وهو: الشيطان ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾[4].

بعد هذا إذا نُصب الصراط على متن جهنم يمر الناس عليه ويتفاوتون بحسب أعمالهم، «**فمنهم من يمرّ كالبرق الخاطف، ومنهم من يمرّ كالريح المرسلة ومنهم من يمرّ كأجاويد الخيل والإبل، ومنهم من يمرّ كالرجل يشتد عدواً ومنهم من يزحف على مقعدته، فناجٍ مُسلم، ومخدوش مرسل، ومكردس على وجهه في نار جهنم**»[5]. فإذا نجيَ الناجون على الصراط ووصلوا إلى باب الجنة، «**فأول من يُكسى من حرير الجنة إبراهيم عليه السلام يكسى من الديباج الأبيض**»[6]، «**وأول من يحرك حلقة الباب نبينا محمد ﷺ فيشفع لأهل الجنة في دخول الجنة**»[7]، فإذا شفع شفعه الله

(١) البقرة: ٨٠.
(٢) الحديد: ١٤.
(٣) الحديد: ١٤.
(٤) الحديد: ١٥.
(٥) انظر: البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).
(٦) انظر: البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).
(٧) انظر: مسلم (١٩٧).

ففتحت أبواب الجنة الثمانية «**وينادى من كل باب أصحابه فباب الصلاة ينادى منه أهل الصلاة، وباب الصدقة ينادى منه أهل الزكاة والصدقات**»[١]، «**وباب اسمه الريان لا يدخل منه إلا الصائمون فإذا دخلوا منه أغلق فلم يدخل منه أحد**»[٢]. وباب الجهاد يدخل منه أهل الجهاد وباب البر والصلة يدخل منه أهلهما. وهكذا حتى تنتهي أبواب الجنة ومن الناس من يدعى من جميع أبواب الجنة ينادى باسمه من جميع أبواب الجنة الثمانية فيخير من أي باب شاء دخل[٣] فهذه الشفاعة في دخول الجنة مختصة بنبينا ﷺ.

❖ الشفاعة السابعة:

وهي الشفاعة في رفع منزلة بعض أهل الجنة؛ لأن أهل الجنة إذا دخلوها منهم من يستحق أن يكون من أصحاب اليمين، ومنهم من يستحق أن يكون من المقربين، فالمقربون في الفردوس الأعلى من الجنة الذي سقفه عرش الرحمٰن[٤]؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى من الجنة**»[٥]، وهي منزلة الأنبياء والشهداء والصدقين والصالحين ولذلك قال النبي ﷺ لأم حارثة حين سألته عن ولدها، قالت: أفي الجنة هو فأصبر أم في غير

---

(١) انظر: البخاري (١٨٩٧).
(٢) انظر: البخاري (١٨٩٦).
(٣) انظر: صحيح البخاري (٣٢٥٧، ٣٦٦٦).
(٤) انظر: سنن الترمذي (٢٥٣٠).
(٥) أخرجه البخاري (٢٦٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ذلك فترى ما أصنع؟ فقال: «**أَوَ جنة هِي؟! إنما هي جنان، وابنك في الفردوس الأعلى منها**»(١).

فأولئك الذين لا يستحقون الفردوس الأعلى من الجنة ولا يستحقون الدرجات العالية في الجنة ـ تنفعهم شفاعة الشافعين فتُعلّى منزلتهم وتُرفع حتى يصلوا إلى المستوى الذي يرغبون فيه، «**وأهل الجنة يتراءون المنازل والغرف كما يتراءى أهل الأرض الكوكب الدري في السماء**»(٢) من تباعد المنازل فيما بينهم.

❖ الشفاعة الثامنة:

وهي الشفاعة بجمع الشمل للذين دخلوا الجنة من أهل الإيمان، واستحق بعض ذريتهم ـ سواء كانوا من الآباء أو الأبناء ـ دخول النار ولكنهم مع ذلك أهلُ إيمان أو كانوا في منزلةٍ من الجنة أدنى من منزلة ذويهم فيشفعون فيهم حتى يجتمع شملهم وهذا من تنعيم الله لهم، فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾﴾(٣).

والذرية تطلق على الآباء والأبناء، ومن إطلاقها على الآباء قول الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٩) عن أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) الطور: ٢١.

أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾[١].

فالذريات التي حُملت في سفينة نوح ليست ـ بالنسبة للمخاطبين هنا ـ هي الأولاد وإنما هي الآباء، وإطلاق الذرية كذلك على الأبناء مثل قول الله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾[٢]، فهؤلاء من ذرية نوح أي من أولاده فقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾[٣]، هذا يشمل الآباء والأبناء.

والذرية مشتقة من الذَّرِّ وهو صغار النمل، والمقصود بذلك الصورة التي أخرج الله عليها ذرية آدم من ظهره حين مسح على ظهره، **فأخرج منه ذرية، فقال: أي ربّ؛ من هؤلاء؟ قال: خلق من ذريتك خلقتهم للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسحه فأخرج منه ذرية أخرى فقال: أي ربِّ من هؤلاء؟ قال: خلق من ذريتك خلقتهم للنار وبعمل أهل النار يعملون**»[٤]، فالصورة التي أخرجوا عليها إذ ذاك شُبهت بالذر وهي النمل فسميّ ذلك العالم عالم الذر،

---

(١) يس: ٤١ ـ ٤٢.
(٢) الأنعام: ٨٤.
(٣) الطور: ٢١.
(٤) أخرجه الترمذي (٣٠٧٦)، والحاكم (١٦٣/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وتعارفت فيه الأرواح كما صحّ عن النبي ﷺ في الصحيحين أنه قال: «**الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»(١).

فالمقصود بالتعارف كما قال أهل العلم ما كان في عالم الذر أي: في ذلك الوقت وقت إخراج ذرية آدم من ظهره.

هذه الشفاعة لا تختص بالنبي ﷺ بل هي لأهل الجنة عموماً فيشفعون في ذراريهم وأقاربهم حتى يجتمع شملهم ويُلحقُ بهم من يعرفون من ذرياتهم وأقاربهم.

وإن من يشفع هذه الشفاعات العظيمة لمستحق للمحبة.

وكذلك فإن من أسس المحبة كمال الإنسان في ذاته حتى لو لم يحسن إليك، والنبي ﷺ هو أكمل البشر في خَلقه وخُلقه كما يستبين بعد قليل إن شاء الله من ذكر شمائله.

فإذا كان كذلك فهو مستحق لأن يُحب.

مما سبق يتضح لنا أن أهم أسباب المحبة أمران: الإحسان والكمالات.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فالإحسان كما سبق كقول الشاعر:

أفادتكم النَّعْمَاءُ مني ثلاثةً يدي ولساني والضمير المحجبا

والكمالات أن يكون المحبوب كاملاً في نفسه، فإن ذلك مما يقتضي محبته وتعلق القلب به وأكمل الناس محمد ﷺ، وبكل هذا نعرف أن النبي ﷺ أهلٌ للمحبة.

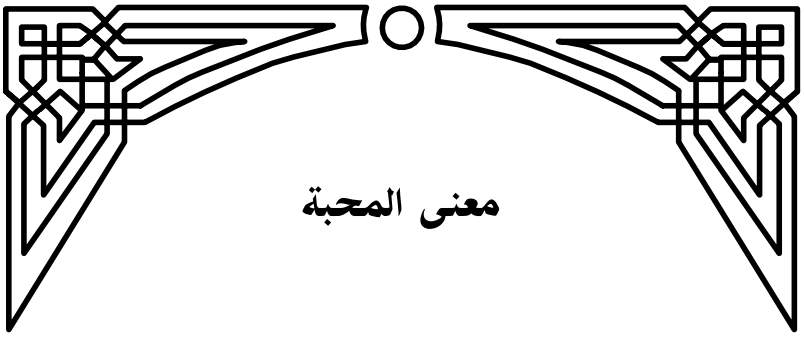

معنى المحبة

إن هذه المحبة التي شرعها الله سبحانه وتعالى وشرطها في الإيمان ليست هي مجرد الطاعة، كما يتوهمه بعض الناس، فبعض الناس يتوهم أن محبة النبي ﷺ إنما هي باتباعه وطاعته فقط، لكن الواقع خلاف ذلك؛ بدليل ما ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح: أَنَّ رَجُلاً على عَهْدِ النبي ﷺ كان اسْمُهُ عَبْدَاللَّهِ وكان يُلَقَّبُ حِمَاراً وكان يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وكان النبي ﷺ قد جَلَدَهُ في الشَّرَابِ فأتى بِهِ يَوْماً فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فقال رَجُلٌ من الْقَوْمِ: اللَّهم الْعَنْهُ ما أَكْثَرَ ما يُؤْتَى بِهِ فقال النبي ﷺ: «**لا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ إلا أنه يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**»(١)، هذا الرجل يحب الله ورسوله، وهو يشرب الخمر فيؤتى به النبيُّ ﷺ سكراناً فيجلده، فدل هذا على أن المحبة ليست بمجرد الإتباع بل هي أمرٌ عاطفي يتعدّى ذلك، تعلقٌ قلبي حتى لو وقع الإنسان في بعض التقصير، ومثل ذلك محبة الله سبحانه وتعالى فهي ليست بالطاعة المحضة فقط، بل قد يكون الإنسان محباً لله سبحانه

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٨) عن عمر رضي الله عنه.

وتعالى ومع ذلك يقع في بعض الأحيان في معصية، فلذلك لا تنتفي المحبة بالمعصية ولكن ينتفي كمالها فقط.

يقول الشيخ محمد عالي رحمه الله:

مَن ادَّعَى محبةَ اللَّهِ ولَمْ يَسِرْ على سُنةِ سيِّد الأُمَمْ
فذاكَ كذَّابٌ أخو مَلاهِ كَذَّبَ دَعْوَاهُ كتابُ اللَّهِ
وَهْيَ مِنْ المخالفاتِ قالوا لا تنتفي بل ينتفي الكمال

فالمخالفات لا تنتفي بها المحبة إجمالاً ولكن ينتفي كمالها فيقع النقص في المحبة بقدر المعصية؛ وبهذا يتبين أن المحبة ليست من عمل الجوارح ولكن من عمل القلب والعاطفة، الذي يؤثر في العمل الظاهر، فأثر الإيمان في الجوارح الطاعات الظاهرة، وأثر الإيمان في العلم التصور والاستسلام، تصور ما أمر الله بتصوره في أركان الإيمان الستة والاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى، وأثر الإيمان في العاطفة هو المحبة والبغض، المحبة لله ولرسوله وللمؤمنين، والبغض لأعداء الله سبحانه وتعالى، ومن جمع المحبة والبغض نال بهما حلاوة الإيمان كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) عن أنس رضي الله عنه.

ولاحظوا أن الخصال الثلاث إما حبٌ وإما كره فبذلك يُعلم أن الجانب العاطفي هو الذي تذاق به حلاوة الإيمان، فإذا تعلق الإنسان برسول الله ﷺ وأحبه هذه المحبة العاطفية فذلك حاملٌ على اتباعه وطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، وأن يعبد الله بما شرع وهذه مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله، وهي هذه الثلاثة، أن يُصدّق في كل ما أخبر به، وأن يطاع في كل ما أمر به، وأن لا يعبد الله إلا بما جاء به.

فهذه المحبة إذاً أمرٌ قلبي عاطفي وهي إنما تتم بمعرفته؛ لأن من لا تعرفه لا تعرف حقه، ولا يمكن أن تحبه، هل فيكم أحد يمكن أن يحب شخصاً مجهولاً لم يره ولم يسمع عنه ولا يعرف شيئاً عن أخلاقه ولا عن صفاته، فهذا مستحيل.

ولهذا لاحظوا أن القرآن مليءٌ بصفات الله، وبصفات رسوله ورسله عليهم السلام، والسنة مليئة بصفات الله وصفات رسول الله ﷺ، وهذه الصفات ليست تكليفاً لنا نحن ولكنها معرفة من خلالها تتحقق المحبة. كثير من الناس يظن أن قراءة الشمائل النبوية والأوصاف الخَلْقية للنبي ﷺ أو الخُلقية لا تؤثر، يقولون: الأوصاف الخُلُقية يمكن أن يؤتسى به ويُقتدى به فيها، أما الأوصاف الخَلْقيه فما فائدة قراءتها وتدارسها؟

فالجواب: أن فائدتها تحصيل محبته؛ لأنك لا يمكن

أن تعرفه إلا إذا عرفت وصفه، وإذا عرفت وصفه أحببته، ولذلك قال البدوي رحمه الله:

وإن عرفت النسب الخطيرا وسيرة تكن بهم خبيرا
حتى كأنهم بعين النفس في الصك قد لاحوا لعين الحس

فهذا تصويرٌ لسبب المحبة الحاصل بالمعرفة؛ فمن عرف إنساناً وعرف كماله تعرّف إليه من كل وجه، فعرف نسبه وحسبه وصفاته وأسماءه وكل ما يتعلق به اقتضى ذلك منه المحبة.

ولهذا تجدون أن مالكاً رحمه الله ختم الموطأ بأسماء النبي ﷺ فآخر حديث في الموطأ هو قول النبي ﷺ في حديث جبير بن مطعم: «**لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمه وأنا العاقب**»(١).

قال ﷺ: «**لي خمسة أسماء**»(٢) فمجرد معرفة هذه الأسماء ودلالاتها يقتضي محبته وتعلقَ القلب به، فهو: محمد الذي يحمده الأولون والآخرون، وهو: أحمد أي: أحمد الناس لربه عز وجل، وهو: الماحي: الذي يمحو الله به الكفر، وهو: الحاشر: الذي يسوق الأمم، فأمته آخر الأمم فهو الحاشر الذي يحشر الناس على قدمه، وهو:

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/١٠٤)، والبخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).
(٢) البخاري (٣٥٣٢).

العاقب أي: الوارث لمن سبقه فهو مُصدِّق لما بين يديه من الحق، والأمم كلها تفتح خزائنها لأمته، فأمته هي التي تتبوأ موضع قيادة الأمم، فمن عرف النبي ﷺ بأسمائه وأوصافه تحققت لديه هذه المحبة العاطفية القلبية، ومن درس الفقه الذي جاء به وعمل به يحصل له الاتباع ولكن لا تحصل له المحبة المحضة؛ فلهذا لا بد أن يتعرّف الإنسان على النبي ﷺ، فيعرف شمائله وأخلاقه وأوصافه ويعرف كذلك نسبه وسيرته ويعرف أصحابه الذين اختارهم الله له، وقد زعم أبو محمد ابن حزم رحمه الله[1] أن الصحابة جميعاً يجب الإيمان بأنهم من أهل الجنة. واستدل لذلك بقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[2].

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي الإمام الحافظ العلامة الفارسي الأصل الأندلسي القرطبي أبوه أو جده خلف أول من دخل الأندلس. ولد أبو محمد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنت ٤٥٦هـ وسمع من جماعة أولهم ابن الجسور كان إليه المنتهيى في الحفظ والذكاء وكثرة العلم وكان شافعي المذهب. ثم انتقل إلى القول بنفي القياس والقول بالظاهر وكان متفنناً في علوم جمة عاملاً بعلمه زاهداً بعد الرياسة التي كانت لأبيه وله من الوزارة وتدبير الملك، جمع من الكتب شيئاً كثيراً لا سيما من كتب الحديث وكان له وفور حظ من البلاغة والشعر والسير والأخبار. انظر: «الوافي بالوفيات» (٢/٩٣).

(٢) فاطر: ٣٢ ـ ٣٣.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾(١).

والحسنى هي الجنة، وقوله: ﴿وَكُلًّا﴾ يشمل من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن لم يأتِ إلا بعد الفتح، فالجميع وعده الله الحسنى والله لا يخلف الميعاد، فالتعرف على أصحابه ﷺ كذلك مقتضٍ لزيادة محبته، ومن هنا ألف كثير من أهل العلم الكتب المعرفة بالنبي ﷺ وبآل بيته وبأصحابه وبأنصاره وكانت هذه الكتب من أهم تراث المسلمين، فانظر مثلاً إلى كتاب خليفة بن خياط(٢) المسمى «كتاب التاريخ» وكتابه الآخر المسمى «الطبقات» وكذلك كتاب «الطبقات الكبرى» لمحمد بن سعد(٣).

وكذلك «السيرة» لابن إسحاق(٤) وكذلك «نسب قريش»

---

(١) الحديد: ١٠.

(٢) هو خليفة بن خياط بن خليفة، أبو عمرو العصفري البصري، الإمام الحافظ، الأخباري، صاحب كتاب التاريخ والطبقات، حدث عنه البخاري في صحيحه بسبعة أحاديث أو أزيد، توفي سنة ٢٤٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧٢/١١)،وتذكرة الحفاظ (٤٣٦/٢).

(٣) هو محمد بن سعد بن منيع، أبو عبدالله البغدادي، الحافظ الحجة، ولد بعد ١٦٠هـ، وطلب العلم في صباه، ولحق الكبار، كان من أوعية العلم، ومن نظر في الطبقات خضع لعلمه. توفي في بغداد في جمادى الآخره، سنة ٢٣٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦٦٤/١٠)، وتاريخ بغداد (٣٢١/٥).

(٤) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو بكر إمام السير، ولد سنة ٨٠هـ، ورأى أنس بن مالك بالمدينة، وسعيد بن المسيب، وهو أول من =

لمصعب بن عبدالله بن ثابت الزبيري[١]، وكتاب «جمهرة أنساب قريش» للزبير بن بكار[٢]، وما ألّف بعد ذلك من الكتب في السيرة النبوية، ولاحظ أن أهل الحديث كان لهم السبق في هذا الباب فهم الذين جعلوا في كتبهم أبواباً مختصة كالبخاري ومسلم وغيرهما، جعلوا في كتبهم كتاباً للمناقب وكتاباً للفضائل وكذلك أحاديث الأنبياء فذكروا في الفضائل، فضائل النبي ﷺ وما شرّفه الله به، وفي المناقب مناقب أصحابه وآل بيته وما جاء في الثناء عليهم وفي منزلتهم العالية، ومن أحسن الكتب المعرّفة بالنبي ﷺ كتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليَحْصُبي الأندلسي السبتي رحمه الله)[٣].

= دوّن العلم بالمدينة. قال علي بن المديني: مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة وذكر منهم محمد بن إسحاق. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣/٧).

(١) هو مصعب بن عبدالله بن ثابت بن عبدالله بن حواري رسول الله ﷺ سمع من أبيه ومن مالك، والدراوردي وابن عيينة وطائفة، حدّث عنه ابن ماجه وعدد كثير، وهو من الثقات توفي في شوال سنة ٢٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٠/١١).

(٢) هو الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام، العلاّمة النسّابة قاضي مكة وعالمها، ولد سنة ١٧٢هـ، قال الخطيب البغدادي: كان الزبير ثقة ثبتاً عالماً بالنسب وأخبار المتقدمين، له مصنف في نسب قريش. انظر: سير أعلام النبلاء (٣١١/١٢).

(٣) هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي المالكي، ولد سنة ست وسبعين =

وهذا الكتاب قال فيه أهل العلم لما قرؤوه: «لو لا الشفا لما عُرف المصطفى» ﷺ.

فهو كتاب لا يستغنى طالب العلم عن القراءة فيه ومراجعته وقد أدركنا أشياخنا رحمهم الله يقرؤونه في شهر ربيع الأول الذي هو شهرٌ نبويٌ في الواقع؛ لأن النبي ﷺ ولد فيه وبدئ بالوحي فيه لأن الرؤيا الصالحة بدأت بهذا الشهر(١)، وهاجر فيه ومات فيه فهو شهر نبويٌ في الواقع لذلك أدركنا مشايخنا يقرؤون فيه كتاب الشفا وقد سمعته ثلاث عشرة مرة من الشيخ جدي محمد علي رحمه الله في هذا الشهر، وكثير من أهل العلم يفرضون على طلابهم قراءته ليتعرفوا على النبي ﷺ وليتهذب سلوكهم وأخلاقهم مع النبي ﷺ فيعرفوا حقه ومكانته، ومن الفصول المؤثرة في هذا الكتاب قول القاضي رحمه الله باب عظيم منزلته ﷺ وما يجب من توقيره واحترامه. عن مالك رحمه الله قال: «لو أدركتم ما أدركت لما أنكرتم عليَّ. لقد أدركت جعفر بن محمد وكان كثير الدُّعابة فإذا ذكر عنده رسول الله ﷺ

= وأربعمائة، تفقه وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان واشتهر اسمه في الآفاق. من مؤلفاته: الشفا في حقوق المصطفى، وترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، وغيرها. توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (٤٨٠)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٢).

(١) فقد ذكر الحافظ في الفتح أن مدة الرؤيا ستة أشهر، وقد نزل القرآن في رمضان، فيقتضي ذلك أن بداية الرؤيا في ربيع.

اصْفَرَّ، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة. وأدركت محمد بن المنكدر وكان إذا حدثنا عن رسول الله ﷺ بكى حتى رحمناه»[١].

(١) انظر: الشفا (٢/٣٥)، ومجموع الفتاوى (١/٢٢٦).

صور من محبة السلف لنبيهم ﷺ

وكان مالك لا يلبس النعلين ولا الخفين في المدينة توقيراً لرسول الله ﷺ، وخرج ذات يوم إلى العقيق فسأله رجلٌ عن حديث فقال: من هذا الذي يسأل عن حديث رسول الله ﷺ في الطريق فأمر بجلده عشرين سوطاً، فقيل له: يا أبا عبدالله؛ إنه القاضي. قال: القاضي خير من أُدِّبَ، فجلده عشرين سوطاً. فلما ذهب مالك إلى منزله دعاه فرحمه فحدّثه عشرين حديثاً بدل كل سوط حديثاً. فقال القاضي: «ليته جلدني مائة فحدثني مائة حديث»(١).

إنهم كانوا يحبون النبي ﷺ حباً عميقاً مؤثراً جداً.

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات ليلة في المدينة فسمع عجوزاً من الأنصار تردد هذه الأبيات:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قوّاماً بُكاً بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تَجْمَعَنّي وحبيبيَ الدار

(١) تاريخ الإسلام (١/٦٠٤).

فجلس عمر يبكي على بابها حتى أذّن المؤذّن[١].

كذلك ما أثر عن علي رضي الله عنه مما يدل على مدى ما وصلوا إليه من احترام النبي ﷺ وذلك أنه لما بنى داره أراد أن يصنع لها مصراعين فلم يضعهما إلا بالمناصع. وهي أرض على ميل من الحرم المدني ـ احتراماً للنبي عليه الصلاة والسلام؛ لئلا يُرفع عليه الصوت في المدينة. قال عياض في الشفا: «وما عمل علي مِصْرَاعَيْ داره إلا بالمناصع».

وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا الاحترام في كتابه، وجعل مقابله محبطاً للعمل ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾[٢].

وبلغ أصحابه ﷺ من توقيره واحترامه ما ذكره عروة بن

(١) انظر الزهد لابن المبارك (٣٦٣)، وتفسير القرطبي (١٣٧/١٣)، والشفا (١٩/٢).

(٢) الحجرات: ١ ـ ٥.

مسعود الثقفي حين أتاه وهو بالحديبية فجلس بين يديه يخاطبه ووجده يتوضأ فكان يمد يده إلى وجه النبي ﷺ فيقول: يا محمد؛ إن قومك قد صحبوا العوذَ المطافيل ولبسوا جلود النمور يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، ورسول الله ﷺ يبتسم، فقال: ما أرى معك إلا أشابة من الناس جديرٌ أن يفروا عنك ويتركوك، وكان أبو بكر عنده فقال له: امصص بظر اللات وَيْلَكَ!! أنفر ونترك رسول الله ﷺ؟! فقال: من هذا؟ فقيل له: أبو بكر. فقال: والله لو لا نعمةٌ لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بتلك. فكان رجل على رأس النبي ﷺ إذا مدّ يده إلى وجهه ضرب ظهر يدهِ بالسيف، فقال: اكفف يدك عن وجه النبي ﷺ. فقال: يا محمد؛ من هذا القائم على رأسك بالسلاح، فقال: «**هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة**»، فلا يبدو من الرجل يومئذٍ إلا الحدق تحت الحلق فرجع عروة مشدوهاً لما رأى، فأتى قريشاً فاستقبلوه فقال: يا معشر قريش؛ والله لقد زرت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، فما رأيت ملكاً يعظّمه أصحابه ما يُعظِم محمداً أصحابه، فوالله إنهم عنده لكأنما على رؤوسهم الطير، إذا نطق ابتدروا إلى أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وما بصق إلا وقعت في كف أحدهم فدلك بها وجهه ورأسه، ووالله إنهم لا يرفعون أبصارهم إليه إجلالاً له[1].

(١) انظر: صحيح البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

وهذا الوصف حدثنا به عمرو بن العاص كذلك فيما حدث به ولده عبدالله، عند موته قال له: يا بني؛ إنه مرّ بي ثلاثة أطوار:

أما الطور الأول: فعندما بعث الله رسوله ﷺ بمكة ما كان على وجه الأرض أحد أشد إليّ بغضاً منه، ولو استطعت أن أضره بشيء لضررته به، ولو مت على هذا الطور لكنت إلى النار.

والطور الثاني: بعد أن قذف الله في قلبي الإيمان، لم يبق أحد على وجه الأرض أحب إليّ من رسول الله ﷺ وأجلّ في قلبي منه، ووالله ما ملأت عينيّ من وجهه حياءً منه، ولو سُئلت أن أصفه لما استطعت أن أصفه، ولو مت على هذا الطور لكنت في الجنة.

ثم جاءت بعد ذلك أمورٌ ليتني أخرج منها كفافاً لا عليّ ولا لي[1].

فما كان عمرو يستطيع النظر إلى النبي ﷺ إجلالاً له وتوقيراً.

وكذلك حال عديّ بن حاتم الذي كان النبي ﷺ يدني مجلسه ويبتسم في وجهه، يسأل من يصفه له فيما بعد، وقال: ما شبعت عيناي من وجه النبي ﷺ قط.

وكذلك جرير بن عبدالله البجلي الذي كان النبي ﷺ

(١) ورد فيه حديث أخرجه مسلم (٢٣٥٨).

يحبه ويدنيه[١]، كان يقول: إن الساعات التي رأيت فيها النبي ﷺ لهي أحب إليّ من عمري، ولوددت أن تزداد، وأول ما رأيت منه خاتم النبوة، ولو سُئلت أن أصف وجهه لما استطعت أن أصفه[٢].

وكذلك الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ كان يقول لخاله هند بن أبي هالة: صف لي رسول الله ﷺ[٣]، وكذلك عدد من الصحابة كانوا يسألون إخوانهم أن يصفوا لهم النبي ﷺ؛ لأنهم من شدة احترامه لم يكونوا ينظرون إليه.

ولهذا فإن خبيب بن عدي رضي الله عنه عندما أخذه بنو لحيان فباعوه بمكة في بعث الرجيع وضعه قريش في السجن انتظاراً لنهاية الشهر الحرام، فلما انتهى الشهر الحرام خرجوا به خارج الحرم ليقتلوه، فلما أخرجوه وهيؤوا له الخشبة أتاه أبو سفيان وهو يرسف في قيده فقال له: يا خبيب إنك من بني جحجبى ـ وهم البطن الذي هو منه من الأنصار ـ ليس بيننا وبينك رحم، أتودُ لو أن محمداً ابننا في أيدينا نفعل به ما ترى وأنت في أهلك معافى، فقال: لا والله ما يسرني أن محمداً في مكانه الذي هو فيه يشاك بشوكة وأني أنجو مما في أيديكم، فلما وضعوه على الخشبة رفع

(١) أخرجه مسلم عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك» (٢٤٧٥).
(٢) صفة الصفوة (١/١٥٣).
(٣) انظر: الشمائل للترمذي (١٨).

يديه إلى الله سبحانه وتعالى ودعا دعاءً بليغاً وسأل الله أن يبلغ رسول ﷺ سلامه، فبلَّغ الله نبيه ﷺ سلامه عنه في هذه الحالة[١].

وكذلك ما حصل لفاطمة بنت يزيد بن السَّكَن، عندما قُتل رجالها يوم أُحد فقد قُتِل زوجها ووالدها وولداها وأخواها وعمها وعم أبيها قتلوا جميعاً يوم أُحد بين يدي النبي ﷺ، فلما جاء النبي ﷺ جاء الناس للسلام عليه فكان فيمن جاء فاطمة فأرادت أن تنظر في وجه النبي ﷺ والناس يحولون بينها وبين ذلك فرآها النبي ﷺ فقال: «**دعوها**»، فلما دنت إليه نظرت إليه فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كل مصيبة بعد رؤيتك جلل»[٢]، فكل المصائب جلل لا تساوي شيئاً بعد رؤيته ﷺ.

وكذلك حال عمرو الأصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش[٣] عندما اشتدّت به الجراحات يوم أُحد أتاه محمود بن الربيع فسأله فقال: ما أتى بك؛ يا عمرو هاهنا؟ أحرصاً على قومك؟ أم رغبة في الإسلام؟

---

(١) حلية الأولياء (١/٢٤٦).

(٢) عيون الأثر (٢/٢٢).

(٣) هو عمر بن ثابت بن وقش بن زغبة الأوسي، صحابي استشهد يوم أُحد، وهو الذي قيل إنه دخل الجنة ولم يصلِّ صلاة، حيث إنه كان يأبى الإسلام فلما كان يوم أُحد بدا له في الإسلام فأسلم ثم أخذ سيفه فقاتل ثم قتل. أسد الغابة (٤/٩٠).

فقال: بل رغبة في الإسلام. أقرئ رسول الله ﷺ سلامي[١]، فبلّغه سلامه.

وكذلك حال كثير من الصحابة في مثل هذا الوقت، عند الموت لا يشغلهم ما يرون عن محبة النبي ﷺ، وعند المصائب الجسام، بل إنهم بلغوا من محبته ﷺ بحيث كان كثيرٌ منهم يُوفق لما يُحب رسول الله ﷺ دون أن يأمره بذلك، صح في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة فقال: «**ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة**». قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح. فقال: «**من هذا؟**» قال: سعد بن أبي وقاص. فقال له رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك؟**» فقال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه. فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام»[٢].

وكذلك حال أتباعهم من بعدهم فقد بلغوا هذا المستوى من محبة النبي ﷺ وإجلاله وتعظيمه وتعظيم أصحابه وتعظيم آل بيته من بعده.

وكذلك من بعدهم من خيار هذه الأمة فقد كان حرصهم على سماع حديث النبي ﷺ يقتضي منهم الأسفار

---

(١) انظر: سنن أبي داود (٢٥٣٧)، والحاكم في المستدرك (٣/٢٧)، وصححه ووافقه الذهبي وابن إسحاق بإسناد حسن، والسيرة لابن هشام (٣/١٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٥، ٧٢٣١)، ومسلم (٢٤١٠) واللفظ له.

الطويلة إلى البلاد النائية، وكان كثير منهم يقطع المسافات الشاسعة على رجليه كأحمد بن حنبل الذي لم يترك حاضرةً نُقِلَ إليها حديث النبي ﷺ إلاَّ دخلها، ومكث في الرحلة سبعا وثلاثين سنة وهو يجمع الحديث(١).

ومنهم يحيى بن معين الذي صحب أحمد بن حنبل في تلك الرحلة كلها وكان يتمنى على الله أن يموت في المدينة، فقدر الله أن يموت في الروضة، وأن يُغسل على الألواح التي غُسل عليها النبي ﷺ وأن يدفن في البقيع، فعندما مات يحيى قال خازن الحجرة النبوية: سأخرج لكم الألواح التي غسل عليها النبي ﷺ؛ لتغسلوا عليها يحيى لتعلقه بحديث النبي ﷺ؛ فأخرج لهم الألواح فغسل عليها يحيى بن معين ـ رحمه الله ـ(٢).

وكذلك ما كان منهم من شدة التعلق بأي شيء نُسب إلى النبي ﷺ وكان من أثاثه أو متاع بيته، فقد ورثوا ذلك عن أصحاب النبي ﷺ، فهذه أم سلمة كما في صحيح البخاري(٣) كان لها جلجلٌ من فضة فيه شعرات من شعر النبي ﷺ، وفيه ثقوب، فإذا مرض مريض أرسل بقدح من ماء فخضت له فيه الجلجل فيشربه فيبرأ، والجلجل وعاء صغير من فضة مثل الذي يتخذ للجرس.

---

(١) الرحلة في طلب الحديث (٢٠٨/١) والمحدث الفاصل (٢١٦/١).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٩٠/١١).
(٣) (٥٥٥٧) عن أم سلمة رضي الله عنها.

وكذلك كان لخالد بن الوليد شعرات من شعر النبي ﷺ فكان يجعلها في المِغْفَر على رأسه حين يقاتل العدو[١]، وكان عند معاوية ابن أبي سفيان أظافر النبي ﷺ احتفظ بها، فلما أدركه الموت أوصى أن تجعل داخل جفنيه في عينيه فَفُعل ذلك به[٢]، وكذلك كان لأبي هريرة كنيف أعطاه إياه رسول الله ﷺ فيه أمدادٌ من شعير فكان ينفق منه بقية حياة النبي ﷺ وخلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان فلما قتل عثمان يوم الدار نُهب بيتُ أبي هريرة فأخذ منه ذلك الكنيف فقال رضي الله عنه:

للناس همٌّ ولي ذا اليوم هَمَّان فَقْدُ الكنيف وفقد الشيخ عثمان

فبدأ به قبل عثمان رضي الله عنه حيث كان حزنه عليه أشد من حزنه على عثمان، وذلك لشدة محبته للنبي ﷺ، وكذلك كان الخلفاء من بني العباس يحافظون على كل ما وصل إليهم مما كان مِلْكاً للنبي ﷺ، أو ما كان لأصحابه المعروفين، فاحتفظوا بسيوف النبي ﷺ، وبعمامةٍ تنسب إليه وما زالت السيوف والعمامة إلى الآن في معرض استانبول، كانت لدى العباسيين فلما انتهت دولتهم أخذها بنو عثمان فبقيت لدى سلاطينهم وإلى الآن ما زالت السيوف كما هي، وما زال جزء من العمامة محفوظاً عندهم إلى وقتنا هذا.

---

(١) الشفا (١/٢٤٥).

(٢) تاريخ الطبري (٣/٢٤٠).

وكذلك بعض الكتب التي كتبها النبي ﷺ ككتابه إلى المنذر بن ساوى[١] وغيره من الكتب.

ومن شدة تعلقهم بالنبي ﷺ عنايتهم بآثاره حتى إن المهدي بن المنصور وضع الأساطين التي أتي بها من خراسان في الحرم المكي علامة على طريق النبي ﷺ إلى الصفا، وما زالت الأساطين الأربعة إلى الآن قائمة في مكانها كُتب على إحدى الأوليين منها وما زال الخط مقروءاً وصورة ما كتب: (أَمَر بوضع هاتين الأسطوانتين في هذا المكان أمير المؤمنين محمد المهدي علماً على طريق رسول الله ﷺ إلى الصفا؛ ليأتم به حاجُّ البيت وعُماره. أطال الله عمر المهدي أمير المؤمنين في تعظيم وتكريم وموسى وهارون. وكان ذلك سنة سبع وستين ومائة مما عمل أهل الكوفة). وعلى الأخريين أنهما توسعة للباب.

وما زال هذا مقروءاً إلى وقتنا هذا على الأسطوانة التي تلي البيت من الأساطين الأربع، والأساطين الأخرى بقيت الكتابة عليها لكنها لم تعد مقروءة تماماً.

كذلك أخذوا هذا عن أصحاب النبي ﷺ الذين وصلوا من شدة محبتهم له إلى أن يحاولوا التأسي بآثاره التي ليس فيها تشريعٌ، كما كان ابن عمر إذا ذهب في طريق الحج

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٦٣/١)، وعيون الأثر (٢٦٦/٢-٢٦٧)، والكامل لابن الأثير (٢١٥/٢)، والزيلعي في نصب الراية (٤١٩/٤-٤٢٠).

والعمرة يقصد أن يسير على أثر النبي ﷺ فيعدل عن المرور بين شجرتين ويمر بين شجرتين أخريين أو يدور بشجرة فيقال له: لم تفعل هذا؟ فيقول: رأيت النبي ﷺ جمحت ناقته ففعلت، فيفعله هو[١]، وكان ينيخ ناقته في مكان ويبول فيه فيقول: لقد رأيت النبي ﷺ فعل!

وبلغ الشأن من العناية بهذا حتى في أيام عروة بن الزبير وهو من التابعين يحدث عن غزوة من الغزوات التي غزاها النبي ﷺ في بداية الإسلام أنه نزل عند شجرة هنالك فطبخ له طبيخ وقد بلغ من تعلق عروة بآثار رسول الله أنه ذهب ليرى موقد النار التي أوقدت للنبي ﷺ فطبخ له عليها طبيخ لشدة تعلق القلب به ومحبته.

ومن ذلك العناية بآل بيته فقد أخرج مسلم في الصحيح[٢] من حديث محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم أنه قال: دخل قوم على جابر بن عبدالله، وكان كبيراً قد كُفَّ بصره فقال: من القوم؟ فعرف بهم حتى بلغ إليَّ. فقال: يا ابن أخي؛ ادْنُ مني. فمد يده فحل زري الأعلى وزري الأسفل ووضع يده بين ثديي، ثم قال: يا ابن أخي؛ سلني عما بدا لك. فقلت: أسألك عن حجة رسول الله ﷺ، فحدثه بحجة الوداع بطولها، وهذا الحديث من أطول أحاديث صحيح مسلم، فهذا الحديث ذكر

(١) مسلم (٢٣٥٦).
(٢) مسلم (١٢١٨).

فيه أن جابراً حلَّ زره الأعلى وزره الأسفل ووضع يده بين ثدييه وأدناه وقربه لمكانه من النبي ﷺ فهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

وكذلك كانت عنايتهم بآل بيته وبكل من بينهم وبينه علاقة، فقد كان النبي ﷺ في حياته يزور بركة أم أيمن مولاته، فلما ولي أبو بكر الخلافة قال لعمر: «تعال نزر أم أيمن كما كان النبي ﷺ يزورها، فذهبا إليها فلما جلسا بكت أم أيمن بكاءً شديداً. فقالا لها: وما يبكيك؟ أما علمت أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ من هذه الدنيا؟! قالت: أما أني لا أبكي لأني لا أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ من هذه الدنيا ولكني أبكي لانقطاع الوحي، فأبكتهما فبكيا بكاءً شديداً حتى خرجا[١].

إن هذه المحبة ينبغي أن تستمر في المؤمنين، وأن تعود الآن إلى ما كانت عليه في أيام الصحابة والتابعين، وأن تُصفَّى من الشوائب والأكدار المخالفة للهدي والسنة، فإن كثيراً من الناس يظنون أن محبة النبي ﷺ هي بالغلو فيه ووصفه بما ليس صحيحاً من الأوصاف المختلقة التي نهى عنها النبي ﷺ وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم**»[٢]، فبعض الناس يزعم أن محبته إطراؤه، وأن

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٤) عن أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يوصف بأنه سر وجود العالم كله، وأنه لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا.. إلى غير ذلك مما لم يُخبر به النبي ﷺ، ولا علمه أحداً من أصحابه ولا وصفوه به، وكذلك اتخاذ قبره عيداً. فقد «حرم ذلك رسول الله ﷺ ولعن من فعله»(١)، «وأوصى أن لا يتخذ قبره عيداً»(٢)، «وسأل الله أن لا يتخذ قبره عيداً»(٣). ومثل ذلك اتخاذ مولده عيداً تأسياً بالنصارى الذين جعلوا مولد عيسى عيداً، وهذا أيضاً مخالف لسنته، وليس من هديه ولا من محبته، ومثل ذلك اختلاق الأحاديث الموضوعة في التوسل به أو أَشدَّ من ذلك في الاستغاثة به ﷺ، فهو ما جاء إلا لتغيير الشرك ومسحه وطمسه من الأرض، ونحن نشهد بأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وما من خير إلا أرشد إليه، وما من شر إلا حذر منه، فكفانا ما جاء به النبي ﷺ ولا نحتاج إلى زيادة.

ورحم الله الشيخ بابا ابن الشيخ سيدي إذ يقول:

كن للإله ناصرا وأَنْكِرِ المناكرا
وكن مع الحق الذي يرضاه منْك دائرا
ولا تَعُدَّ نافعا سِواءَهُ أو ضائرا

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥-٤٣٦) عن عائشة رضي الله عنها.
(٢) انظر: موطأ الإمام مالك (٣٦٥)، ومسند الإمام أحمد (٢/٣٦٤)، وسنن أبي داود (٢٠٤٢).
(٣) انظر: مسند الإمام أحمد (٢/٢٤٦).

واسْلُكْ سبيلَ المصطفى ومُتْ عليه سائرا
فما كفى أَوَّلَنَا أليس يكفي الآخرا
وكنْ لقومٍ أحدثوا في أمره مُهاجرا
قد زعموا مزاعما وسوَّدوا دفاترا
واحتنكوا أهل الفلا واحتنكوا الحواضرا
وأورثت أكابرٌ بِدْعَتها أصاغرا
وإن دعا مجادلٌ في أمرهم إلى مِرَا
«فلا تُمَارِ فيهمُ إلا مِراءً ظاهرا»

ويقول رحمه الله أيضاً:

آمِنْ أُخَيَّ واسْتقمْ ونهجَ أحمدَ التَزِمْ
واجتنبِ الطُّرُقَ لا تَغْرُرْكَ أضغاثُ الحُلُمْ
لا خيرَ في دينٍ لدى خيرِ القرونِ قدْ عُدِمْ
أَحْدَثَهُ منْ لم يجئْ قَطْعٌ بأنه عُصِمْ
من بعدِ ما قد أُنْزِلَتْ «اليَوْمَ أَكملتُ لَكُمْ»
وبعد ما صحَّ لدَى جَمْعِ على غديرِ خُمْ
ادْعُ إلى سبيلهِ وخُصَّ في الناس وَعُمْ
وقلْ إذا ما أعرضوا «عليكمُ أنفسَكُمْ»

إن محبة النبي ﷺ ليست بالتمني، ولا بالأقاويل الباطلة، وليست بالادعاء والاختلاق لما لم يأذن به الله بل إن النبي ﷺ قال: «**إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد،**

(١) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١]. وأحدثكم هنا بما حدثني به جدي محمد علي بن عبدالودود عن يُحْظِيهِ بن عبدالودود عن محمد بن محمد سالم عن حامد بن عمر عن الفقيه الخطاط عن القاضي ابن علي قمُّهُ السباعي عن شيخ الشيوخ الحسني عن علي الأجهوري عن البرهان العلقمي عن الجلال السيوطي عن زكريا الأنصاري عن الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني عن إبراهيم التنوخي عن أحمد بن أبي طالب الحجار عن عبدالأول بن عيسى السجزي عن الحسين بن المبارك عن عبدالرحمٰن بن محمد الداوودي عن عبدالله بن أحمد السرخسي عن محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري في صحيحه قال: حدثنا المكي بن إبراهيم قال: حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ قال: «**من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**»[٢].

وهذا الحديث أول ثلاثيات البخاري في الصحيح، فَبَيْنَ البخاري فيه وبين النبي ﷺ ثلاثة أشخاص هم: المكي بن إبراهيم ويزيد بن أبي عبيد وسلمة بن الأكوع وهو الصحابي.

فالذين يختلقون على النبي ﷺ أحاديث لم يقلها لا يحبونه ولا يحققون هذه المحبة المنشودة، والذين يدعونه من

(١) أخرجه البخاري (١٠٩).

دون الله قد خالفوا ما جاء به بالكلية، فهو ما جاء إلا لتحطيم الشرك وتهديم كل ما يُدعى من دون الله، وقد بذل في ذلك جهده، وحققه حتى عُبد اللَّهُ وحده على هذه الأرض ـ أرض جزيرة العرب ـ، فكيف تجعل محبته بخلاف ما جاء به وخلاف دعوته بالكلية؟!

كذلك، فإن محبة النبي ﷺ تقتضي تعلم سنته، فكيف تحقق يا أخي محبة النبي ﷺ وأنت لم تقرأ صحيح البخاري ولا صحيح مسلم ولا موطأ مالك ولم تطلع على شيء من أحاديث النبي ﷺ واستغنيت عن ذلك بما كتبه الناس؟! هل يمكن أن تَتَحَقَّق لك محبته وأنت تهجر كلامه ولا تقرأ شيئاً من سنته؟!

إن الإمام أبا حامد الغزالي رحمه الله قد مر به كثير من الأطوار والمراحل وعندما دنا أجله تاب من كل تلك الأطوار وخرج منها ورجع إلى سنة النبي ﷺ فمات وصحيح البخاري على صدره يُقلبه.

إن كثيراً من الناس يظنون أو يزعمون أنهم يحبون رسول الله ﷺ وهم يهجرون سنته ولا يريدون تعلمها أصلاً، ويكتفون من ذلك بكثير من الصلوات التي فيها من المبالغات والمجازفات الشيء الكثير.

إن هذا المفهوم شاع بين الناس حتى أصبح كثير من الناس يظنون أن الحديث يكفي منه مجرد الصلوات التي فيها

المجازفات الكثيرة التي لم يأمر بها رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه ولا أحد من التابعين ولا عُرفت في الصدر الأول من هذه الأمة ولا عرفها الأئمة المجتهدون الذين يقتدى بهم في دين الله، وإنما هي من اختلاقات الناس بعد ذلك فجعلت هذه بديلاً عن أحاديث النبي ﷺ، ورشحت مكان ذلك.

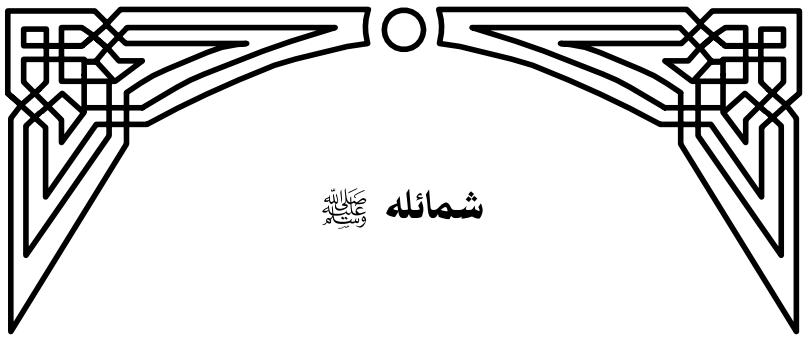

شمائله ﷺ

أصل الآن بعد الكلام على محبة النبي ﷺ إلى شمائله الطاهرة، إن الشمائل معناها الخصال والأوصاف والمقصود بها: ما أُثر عن النبي ﷺ من الأوصاف الخَلْقية والخُلقية. وهي داخلة في مسمى السنة عند المحدثين وغير داخلة فيه عند الفقهاء والأصوليين، فالسنة عند الأصوليين هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح دليلاً لحكم شرعي.

وعند الفقهاء: صفة الحكم الشرعي المأمور به أمراً غير جازم.

أما عند المحدثين فالسنة هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خَلْقي أو خُلُقي سواء صلح دليلاً لحكم شرعي أو لم يصلح، فكل ما روى عن النبي ﷺ فهو داخل في مسمى السنة عندهم.

وينبغي أن يقيد هذا التعريف بقيد لا يذكره المحدثون، وهو أن يكون الواصف قد رأى النبي ﷺ؛ ليخرج بذلك ما وصفه به المدَّاحون الذين يثنون عليه بكثير من الأوصاف ولم

يروه، فليس وصفهم له سنةً وإن كان وصفاً للنبي ﷺ؛ لأنهم لم يروه، فلذلك ينبغي أن يقال: هذا مما أثره عنه من رآه، ويقيد التعريف بأن يكون صادراً ممن رآه ﷺ. والذين رأوه وصفوه بكثير من الأوصاف الخُلقية والخَلقية.

أما الأوصاف الخُلقية فهي في كتاب الله سبحانه وتعالى وفيه منها ما يكفي فقد قال الله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾(٢).

ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾(٣).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾(٤).

ويقول تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى

(١) القلم: ١ ـ ٤.
(٢) الضحى: ١ ـ ٥.
(٣) الشرح: ١ ـ ٤.
(٤) الفتح: ١ ـ ٣.

ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[2].

وكذلك ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها في سنن الترمذي وغيره بإسناد صحيح من وصف النبي ﷺ حيث قالت: (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح)[3].

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٦)، وأحمد (٢٦٠٣٢) بإسناد صحيح. وانظر: صحيح البخاري (٦٠٢٩-٦٠٣٠).

وهذه الصفات سلبية تثبت ضدها وهو اتصافه ﷺ بالاستقامة والعدل واللين والرحمة. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه اتصافه بهذه الأوصاف بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾(١).

فهذه أوصافه ﷺ الخُلقية في كتاب الله ويكفي منها قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾(٢).

فهو محيط بهذه الأوصاف جامع لها، ولذلك يقول أحد العلماء أظنه محمد بن الشيخ محمد بن حبيب الرحمٰن رحمه الله:

أبعدَ ثناء خالقنا تعالى ... على طه ثناء للورى لا
فما أبقت «على خلق عظيم» ... مُؤَكَّدَةً لمخلوقٍ مقالا

هذا ثناء الله الخالق فلا يُبْقِي ذلك لمخلوق مقالاً.

ومن هذه الأوصاف وصف العباس له رضي الله عنه فقد قال لرسول الله ﷺ: أتأذن لي أن امتدحك فقال: «**قل**» فقال:

من قبلها طبت في الظِلال وفي ... مستودع حيث يُخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشرٌ ... أنت ولا مضغةٌ ولا علقُ
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألْجم نَسْراً وأهله الغرق

(١) الأنفال: ١٢٨.
(٢) القلم: ٤.

وردت نار الخليل مكتتماً في صلبه أنت كيف يحترق
تنقلُ من صالَبٍ إلى رحم إذا مضى عالمٌ بدا طبقُ
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النّطُقُ
فنحن في ذلك الضياء وفي النـ ـور وسبل الرشاد نخترق

فقد بين العباس مسيرة النبي ﷺ وتقلبه في الساجدين من لدن آدم حين أهبط من الجنة إلى زمان الطوفان وركوب نوح للسفينة إلى إلقاء إبراهيم في النار ونجاته منها، إلى ما بعد ذلك من التقلب إلى أن وصل إلى خندف وهي زوج إلياس بن مضر وهي أم مُدركة جد النبي ﷺ، وأثني عليه هذا الثناء الذي هو أهلٌ له، وقد أثني عليه من قبل بهذه الأوصاف الخَلقية والخُلقية، كذلك أبو طالب في قصيدته اللامية التي قال فيها عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر: لو أن أبا طالبٍ حَيٌّ لعَلمِ أنَّا أولى منه بقوله:

ونُسلِمُهُ حتى نُصَّرعَ حَوله ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحَلائِلِ

وهذا البيت من قصيدة يمدح فيها أبو طالب رسول الله ﷺ ويقول فيها:

وأبيضَ يُستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضلِ
كذبتم وبيت الله نُبزى محمداً ولمَّا نُقاتلْ دونه ونُناضِلِ
ونُسلِمهُ حتى نُصَّرعَ حَوله ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحَلائِلِ[1]

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٩١-٢٩٩).

إن الذين وصفوه من أصحابه ﷺ اتجهوا اتجاهات شتى في هذه الأوصاف، أما من الناحية الخُلُقية فأعظم وصف لهم ما وصفته به عائشة رضي الله عنها حين سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «**كان خلقه القرآن**»[١] هذا أبلغ وصف وأجمعه وأعظمه، خلقه القرآن، كل ما أمر الله به فقد حققه في خُلُقه، وكل ما نهى عنه فقد اجتنبه واجتمع فيه ما يرضى الله لعباده؛ ولهذا جعله الله أسوة صالحة لجميع الناس. هذا أجمع وصف خُلقي للنبي ﷺ. فإذا أردت أن تجد وصفه فيما يتعلق بالخُلق فاقرأ كتاب الله، فكل أمرٍ أمرَ الله به في كتابه فقد حققه، وكل نهي قد نهى عنه فقد ابتعد عنه، وكل خُلق قد أرشد إليه فقد حققه، وقد هيأه الله لذلك واختاره، فقد شق صدره مرتين[٢]، وأخرج منه المضغة السوداء[٣]، وغسل مكانها بماء زمزم[٤]، وهيأه ليكون أسوة لكل البشر.

وَأمَّا من الناحية الخَلقية، فقد وصفه عددٌ منهم، ومن الأوصاف التي اتفقوا عليها في وصفه ﷺ أنه كان رَبْعَةً إلى

---

(١) مسلم (٧٤٦).

(٢) أولى حادثتي شق صدره ﷺ كانت وهو مسترضع في بني سعد بن بكر، وحديثها في مسلم من حديث أنس بن مالك (٢٦١)، والثانية عند حادثة الإسراء والمعراج وحديثها في الصحيحين: البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٣).

(٣) انظر: البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٣).

(٤) انظر: المصدرين السابقين.

الطول[١] أي: ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الذي تزدريه الأعين، وكان بين الرجُلين.

وكذلك في اللون ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالأحمر الذي تزدريه العيون، ولكنه كان أبيض مشرباً[٢] أي: مُشْرَباً بحمرة: بياضه ممزوج بحمره.

ووصفوه كذلك بأن وجهه كفلقة القمر[٣] يشبه القمر في الاستدارة والاستنارة.

ووصفوه كذلك بأنه كان أقنى الأنف. وكان أَزَجَّ الحاجبين. وكان أهدب الأشفار. وكان ما بين حاجبيه متصلاً وكان واسع الجبهة مستديرها.

وكان مستدير اللحية، سوداء قد شاب منها شعرات معدودة.

وكان كذلك ﷺ معتدل نِبتةِ الفم فكان بين أسنانه الخلل أي: أسنانه ليست اثنتان منها بمتماستين، «وكان برَّاق الثنايا إذا ابتسم كأنما أضاء برق من فمه»[٤].

كذلك كان ضخم الكراديس أي: المفاصل، عظيم المُشاش أي: مفاصله قوية متماسكة.

---

(١) انظر: البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٣٧).
(٢) انظر: البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٣٠-٢٣٤٠).
(٣) انظر: البخاري (٣٥٥٢)، ومسلم (٢٣٤٤).
(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل (١٥).

وكان بادناً أي: يستوي صدره وبطنه فليس بطنه أرفع من صدره ولا صدره أرفع من بطنه وهذا معنى كونه بادناً.

وكذلك كان ﷺ قوي الجسم إذا مشى كأنما ينحط من صبب، يُسرع الرجال فيجهدون أنفسهم ليلحقوه، وهو لا يتكلف أي: لا يتكلف في المشي إذا مشى أسرع، وإذا التفت التفت ببدنه كله[١]؛ وذلك للوقار والسكينة.

يهابه رائيه إذا رآه فجأة، وكثيراً ما يصاب برعدة عندما يراه فجأةً لأول مرة لهيبته ﷺ؛ ولذلك لما رأى رجل وجهه ﷺ أخذه البُرَحَاءُ أي: العرق والرعدة. فقال له ﷺ: «**هون عليك فإني لست بملكٍ إنما أنا عبد الله ورسوله**»[٢].

وكذلك وصفوه فيما يتعلق بالأصابع أنه كانت أصابع يديه معتدلة[٣].

ووصفوا لين كفيه وأنهما ألين من الحرير.

وكان أَسِيلَ الخدين وكان شثن الرجلين، وكان ممسوح

---

(١) انظر هذه الصفات كلها في حديث هند بن أبي هالة خال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عند الترمذي في الشمائل (١٨-٢٦)، وابن سعد في الطبقات (٤٢٢/١)، وأبي نعيم في الدلائل (٢٢٧)، والبغوي في شرح السنة (٣٧٠٥).

(٢) انظر: ابن ماجه في السنن (٣٣١٢)، والحاكم في المستدرك (٣٧٣٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: الترمذي في السنن (٣٦٣٨)، والشمائل (٧).

القدمين[١] أي: ليست قدماه بالعريضتين، وكان ﷺ معتدل الساقين[٢] أي ليس فيهما عوج ولا انتفاخ في مكان دون غيره.

وكذلك كان دقيق المسربه[٣] وهي الشعيرات التي تنبت في الصدر إلى السرة فهي خط مستمر.

وكان كث اللحية[٤]، وكان ﷺ يأخذ من طرفي شاربه وتبدو طُرَّتُه كأحسن ما يبدو من الطُرَر. طرته أي: طرف شاربه تبدو كأحسن ما يبدو من الطرر. وكان أدعج العينين[٥] أي شديد سواد سوادهما شديد بياض بياضهما، بياضهما شديد البياض، وسوادهما شديد السواد.

وكان ﷺ لا يتغير لونه في الحر ولا في البرد، ولا في الأسفار فلونه كما هو في كل الأحوال.

وكذلك كان طيب الريح فكان الناس يشمون رائحة الطيب من عرقه ﷺ[٦]، وما تطيب، بل كانت أم سليم تأخذ عرقه فتجعله في الطيب، فكان أهل المدينة يقولون: ما رأينا

---

(١) انظر: الترمذي في الشمائل (٨)، من حديث هند بن أبي هالة المتقدم.
(٢) في سنن الترمذي من حديث جابر بن سمره (٣٦٤٥) «أنه ﷺ كان في ساقيه حموشة» وقال حسن صحيح.
(٣) الترمذي في الشمائل (٨) من حديث هند بن أبي هالة المتقدم.
(٤) المصدر السابق، وانظر: مسلم (٦٠٨٤).
(٥) انظر: الشمائل للترمذي (٧).
(٦) انظر: مسلم (٢٣٣١ ـ ٢٣٣٢).

طيباً أطيب من طيبها، ويسألونها عن طيبها، فتقول: لقد جعلت فيه أطيب طيب[١]. تقصد عرق النبي ﷺ.

وكذلك كان ﷺ في ظهره خاتم النبوة وهو على كتفه الأيسر وهو مثل بيضة الحمام فيه شعرات نبتت عليه فهو شبه الثآليل التي هي بلون بين الحمرة والسواد وقد نبتت عليه شعرات[٢] وهذا هو خاتم النبوة الذي أخبر به الأنبياء من قبل، وبينوا أنه علامته. وكان الذين يدرسون الكتب السابقة إذا سلموا عليه استداروا قِبَلَ ظهره ليروا خاتم النبوة[٣]، وكان هو ربما تشاغل بالأمر حتى يسقط رداؤه عن ظهره فيرى الناس خاتم النبوة[٤].

ومن ناحية الخُلق وصف بشدة الحياء فكان أشد حياءً من العذراء في خدرها[٥]، وكذلك كان أشد الناس تواضعاً فتأتيه الأمة السوداء فتأخذ بيده حتى يقضي لها حاجتها[٦]، ويأتيه الأعرابي الجلف البادي فيجذبه بطرف ثوبه حتى يؤثر في صفحة عنقه، ويقول: يا رسول الله؛ مُرْ لي بشيء من مال الله الذي تحت يدك. فيبتسم ويقضي له حاجته[٧]. وتقدم

(١) انظر: المصدر السابق.
(٢) انظر: مسلم (٢٣٤٤ ـ ٢٣٤٦)، والشمائل للترمذي (٢٠).
(٣) انظر: الشمائل للترمذي (٢١) بسند حسن.
(٤) انظر: مسلم (٢٣٤٦).
(٥) انظر: البخاري (٣٥٦٢)، مسلم (٢٣٢٠).
(٦) انظر: البخاري (٦٠٧٢).
(٧) انظر: البخاري (٣١٤٩، ٦٠٨٨).

ذات يوم للصلاة فأتاه رجل، فوقف أمام الصف يصيح، فقال: يا رسول الله؛ علمني مما علمك الله. فتلطف به، وذهب إليه وعلمه طويلاً والناس في صفوفهم، ثم جاء مكانه فصلى بالناس، ولم يُعِدِ الإقامة(١).

وكذلك كان يكون في مهنة أهله فيخصف نعله ويخيط ثوبه ويقم بيته بيده ﷺ(٢).

ومن شدة تواضعه أنه كان يضطجع على حصير فيبقى أثره في ضلوعه(٣)، فكان بعد ذلك فراشه من أدم أي: من جلد أحمر حشوه من ليف(٤)، فكان إذا جاء الضيف أجلسه عليه.

وكذلك كان ﷺ من خلقه الحلم، وكان لا يغضب إلا لغضب الله إذا انتهكت حرمات الله وإذا غضب لا يقوم لغضبه شيء(٥).

وكذلك كان من وصفه ﷺ الصبر على أذى الناس، فكان أشد الناس صبراً وكان من خلقه ﷺ كذلك الكرم،

---

(١) انظر: سنن أبي داود (٥٤٢) مختصراً.
(٢) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٢١/٦) وصححه الأرناؤوط برقم (٢٤٩٠٣).
(٣) انظر: البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩).
(٤) انظر: مسلم (٢٠٨٢).
(٥) انظر: البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١)، والترمذي في الشمائل (٣٣٧).

ففي حديث جابر: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، فما سئل شيئاً قط فقال: لا، إن كان عنده أعطى وإلا رده بميسور من القول»[١].

وفي حديث ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[٢].

وكذلك كان ﷺ من شدة حرصه على الناس يعود المرضى حتى من غير المسلمين، فقد ذهب يعود طفلاً من اليهود مريضاً فوجده يجود بنفسه فقال له: «**قل: لا إله إلا الله محمد رسول الله**». فرفع الطفل رأسه إلى أبيه يستأذنه في ذلك. فقال: أطع أبا القاسم. فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»[٣].

وكذلك كان من شدة تواضعه أنه كان يجيب كل دعوة يدعاها، فدعاه يهودي إلى خُبزَةٍ ناسّةٍ وإهالة سَنِخَة. فلبى دعوته[٤]. وخبزة ناسة أي: ناشفة قد يبست، وإهالة أي: زبدة، وسنخة أي: قد تغير لونها فاصفرت[٥].

---

(١) انظر: مسلم (٢٠٨٢).
(٢) البخاري (٦)، مسلم (٢٣٠٨).
(٣) البخاري (١٣٥٦)، عن أنس رضي الله عنه.
(٤) انظر: البخاري (٢٥٠٨)، والشمائل للترمذي (٣٣٤).
(٥) انظر: النهاية لابن الأثير (٢/١٠١٥).

وكان من تواضعه ﷺ أنه قال: «**لو دعيت إلى كُراع أو ذراع لأجبت**»[١]، فيجيب إلى أي شيء يُدعى إليه.

وكذلك كان ﷺ كثير التبسم ولكنه إذا ابتسم تبدو أنيابه فقط، ولا يستغرق ضاحكاً، ولا يسمع صوته في الضحك[٢].

وكذلك من وصفه ﷺ صلته وعفافه فقد كان أشد الناس تعففاً وأكثرهم صلة لذوي رحمه حتى إن أم سلمة ذكرته بذلك عندما لم يقبل من أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية بيعتهما فقالت: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك، فلم يقبل شفاعتها فذهبا إلى علي يريدان شفاعته فقال: إني لا أشفع لكما، ولكني أدلكما على ما هو خير من ذلك. فقالا: وما هو؟ فقال: ما كان ينبغي لأحد أن يكون أحسن جواباً من رسول الله ﷺ، فقولا له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[٣]. فقالا له ذلك. فقال: ما قاله يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٤][٥].

وكذلك من خلقه ﷺ رحمته للصغار والضعفاء

---

(١) البخاري (٢٤٢٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) انظر: البخاري (٦٠٩٢-٦٠٨٧).
(٣) يوسف: ٩١.
(٤) يوسف: ٩٢.
(٥) زاد المعاد (٣/٣٤٧).

والمساكين، فقد كان الصبية يأتونه فيلعبون بخاتم النبوة[١]، وكان يصلي فأتى الحسين وأُمامة، فركبا على ظهره وهو ساجد فأطال السجود لهما حتى لا يزعجهما أو لا يحرجهما. فلما سلم قال: «**نِعم الجمل جملكما**»[٢]. وأتاه الحسين وهو يصلي فوقف إلى جنبه فحمله في قيامه فكان إذا ركع أو سجد وضعه وإذا قام حمله[٣]، وحمل أمامة بنت أبي العاصي كذلك في الصلاة[٤].

وكان من رحمته بالصبية الصغار أنه يداعبهم ويمازحهم فقد دخل ذات يوم بيت أبي طلحة فرأى طفلاً كان يلعب بطير له فقال: «**ما فعل النغير يا أبا عمير**»[٥]، وكناه بهذه الكنية وهو طفل صغير، يخاطبه بأحب أسمائه إليه، وكان يفعل ذلك حتى مع أعدائه؛ فقد صح أنه حين أتاه عتبة بن ربيعة يجادله عن قريش قال له: «**اسمع أبا الوليد**». فقرأ عليه سورة فصلت حتى بلغ قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾[٦]. فقال: حسبك حسبك فأسكته[٧].

---

(١) انظر: البخاري (٥٦٤٧).
(٢) عزاه الهيثمي في المجمع (٢٩١/٩) للطبراني من حديث جابر.
(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٢/٩) وعزاه للطبراني فقال: «رواه الطبراني بإسنادين وفيهما من لم أعرفه».
(٤) انظر: البخاري (٥١٦، ٥٩٩٦).
(٥) البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (٢١٥٠) عن أنس رضي الله عنه.
(٦) فصلت: ١٣.
(٧) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٢٢٥/١٤)، وسيرة ابن هشام (٣٦٢/١).

وكذلك كان يحسن ضيافتهم فكان يحسن ضيافة اليهود، وأحسن ضيافة عامر بن الطفيل وأَربد حين نزلا عليه على شِرْكِهما[١]، وعداوتهما لله ولرسوله، وكذلك كان من خلقه مع الناس اللين والرحمة، فقد عرف بذلك بين الناس حتى إن يهود بني قريظة حين قال لهم: «**يا إخوان القردة والخنازير**». قالوا: يا أبا القاسم ما عهدناك فحاشاً[٢].

وكان من حيائه ﷺ من ربه عز وجل أن بلغ أنه يوم الفتح حين دخل مكة بالسلاح ألصق ذقنه بصدره حياء من الله عز وجل، وكان كثير البكاء من خشية الله عز وجل فكان يبكي في قيام الليل. وقام ليلة يقرأ آية واحدة وهي قول الله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[٣][٤].

وكان كذلك كثير الدعاء والإلحاح على الله سبحانه وتعالى، والمواقف في ذلك مشهورة كيوم بدر[٥] وغيره يناشد الله ما وعده.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٦٦/٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٦٨/٥).
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٩١/٦) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من مرسل قتادة.
(٣) المائدة: ١١٨.
(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٥٦/٥)، والنسائي في السنن (١٠١٠)، وابن ماجه في السنن (١٣٥٠) وحسنه الألباني في مختصر سنن النسائي وابن ماجه، وحسنه الأرناؤوط في تحقيق المسند (٢١٣٨٨).
(٥) انظر: مسلم (١٧٦٣).

هذه بعض شمائل النبي ﷺ ولا يمكن أن نأتي عليها كلها وقد ألفت الكتب الكثيرة فيها ولم تحتوِ على القدر الكافي منها، والوقت عدوٌ لنا حين يخرجنا من شمائل النبي ﷺ مثلما قال العلامة عبدالله بن سيدي محمود رحمه الله حين خرج من المدينة في حجته فلما تركها وراء ظهره، التفت إليها يبكي وهو يقول:

بانَ الرسولُ وبانتْ عنكَ طَيْبَتُه إنَّ الأَحِبَّةَ والأوطانَ أعداءُ

إن الأحبة والأوطان أعداء إذا كانوا سبباً في إخراج الإنسان من مدينة النبي ﷺ، فكذلك الوقت عدوٌ لنا حين يخرجنا من شمائل النبي ﷺ.

ولعلي اختم بأبيات من قصيدة العلامة أحمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي رحمهم الله أجمعين حيث يقول:

أَتُذْري عينُه فَضَضَ الجُمان غراماً من تَذَكّره المغاني
مغانٍ بالعقيق إلى المنقَّى إلى أُحُدٍ تذكُّرُها شَجَاني
ومِنْ تَذْكار منزلةٍ بسَلْعٍ إلى الْجَمَّا تُعاني ما تُعاني
فهل عزمٌ يصول على التواني وهل بَعْدَ التباعدِ من تدانِ
وهل أغدو بكورَ الطير رحلي على وَجْنَاءَ دَوْسَرَةٍ هِجَان
تَبُذُّ العِيسَ لاحقةً كُلاها وتَطْوِي البِيدَ مُسْنَفَةَ اللَّبَانِ
تُرَى بعد الدّؤوب كأَخْدَرِيٍّ بِيَمْؤُودٍ أَرَنَّ على أَتانِ
حَدَاها شوقُ دارِ الفتح مأوى إمام الرسْلِ مَأْمَنِ كلِّ جانِ
بِعَيشكَ صِفْ شمائلَهُ فَإِنِّي أَحِنُّ إلى شمائله الحسانِ

فما شمسُ الظهيرةِ يومَ دَجْنٍ تحاكي وجنتيه ولا تداني
ولا بدرُ التمام إذا تبدَّى يحاكي الوجهَ ليلةَ إِضْحِيَانِ

وقد كنت قلت وأنا بأمريكا حين رأيت جبلاً ذكرني بأُحُدٍ، من قصيدة:

حُبِّيكَ يا خير خلق الله ما نفِدَا ولا توقَّفَ يوماً ما ولا برَدَا
ما زرتُ دَارَكَ في شوْقٍ يؤرقني إلا تزايد عندي الشوق واتقدا
ولا أرى جَبَلاً في الأرضِ منفرداً إلا تذكرتُ مشتاقا له أُحُدَا
ولن أزال بجيش من جيوشكمُ لنصر ملتكمْ أسمو به صُعُدَا

اللَّهم صلِّ وسلم وبارك على نبيك محمد وعلى آله وأصحابه، اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت وباركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

اللَّهم اجْزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولاً عن من أرسل إليه، اللَّهم احشرنا تحت لوائه وابعثنا في زمرته واسقنا من حوضه بيده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً، واجعلنا من الذين يدعون باسمه ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[1].

اللَّهم ارزقنا التمسك بسنته، اللَّهم اخلف نبيك محمداً ﷺ في أمته بخير، اللَّهم اخلف نبيك محمداً ﷺ في أمته بخير وصلِّ عليه وسلم، اللَّهم اخلف نبيك محمداً ﷺ

(١) الإسراء: ٧١.

في أمته بخير وصلِّ عليه وسلم، اللَّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر وتقام فيه حدودك؛ يا أرحم الراحمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المعتني بالكتاب	٥
علاقة محبة الرسول ﷺ بالإيمان	١١
أنواع الشفاعات	١٦
معنى المحبة	٢٨
صور من محبة السلف لنبيهم ﷺ	٣٧
شمائله ﷺ	٥٤